نموذج للروايات المستقبلية المعاصرة

« هذا اليوم العظيم » ..

بقلم محمد الحديري

« آيرا ليفين » كاتب امريكي يهودي ، نال بعض الشهرة (سنة ١٩٦٩) عندما اصدر روايته « طفل روزماري » ، والتي تتصف بما يسمونه « الشيطانية الحديثة » . وهي قصة ظاهرها الرعب ، وباطنها فلسفة الشر ، فالكاتب يتصور ان ابليس انجب في سنة ١٩٦٦ ابنا من امرأة من البشر تدعى « روزماري » ، ليكون رسول الشر والاذى ، ويتخذ من مدينة نيويورك مقابلا لبيت لحم ، ويجعل سنة ١٩٦٦ « سنة واحدة » في هذا التقويم الميلادي الحديث ، وسواء كان ذلك صدفة ام عمدا ، فهو يقابل المجوس الذين تنبأوا بمولد المسيح ، بفرقة من السحرة ودعاة الشر ، يتزعمهم طبيب يهودي متخصص في الولادة ، تتم على يديه رعاية ابن الشيطان وهو جنين ، ثم ولادته ، وبذلك فاذا كان اليهود ـ فيما ياتي به هذا الكاتب ـ هم الذين وشوا بالمسيح وطالبوا بقتله ، فانهم هم الذين جاءوا بنقيضه الى هذه الارض .

وقد نالت هذه الرواية نجاحا كبيرا وانتجت سينمائيا ، وقام باخراجها للسينما « رومان بولانسكي » الذي ما لبث ان ذاق مرارة العمل الشيطاني عندما ذبحت زوجته « شارون تيث » بايدي عصابة الهيبيز ، وهم فرقة تنسب نفسها للشيطان ايضا .

هذا هو تصور « آيرا ليفين » للحاضر الذي نعيش فيه اليوم . وهو في قصته الجديدة هذه « هذا اليوم العظيم » يصف تصوره للمستقبل فيما يسمونه » القصص المستقبلي Futuristic ومايفضل بعض الدارسين تسميته Utopiam على اساس ان اي كاتب قصصي يضع حوادثه في المستقبل ، فانه يهدف الى تصور المجتمع الانساني في هذه الحقبة او تحذيره مما يمكن ان يصل اليه . كما هو في قصة « الدوس هكسلي » الشهيرة « دنيا جديدة شجاعة » ، والتي يتصور فيها شكل العالم بعد كشف اسرار الوراثة واستخدامها فيما يسمونه « الهندسة الوراثية » ، فالاسرة سوف تختفي لانه لم يعد هناك داع لها ، والتناسل يتم في معامل لتفريخ الآدميين ، حيث ينتج الانسان بمواصفات تتفق مع مطالب الاقتصاد والصناعة . ويحصر هكسلي تصوراته في وجهة النظر هذه ، فنحن لا نجد في قصته شيئا عن النتائج السياسية والدولية لهذا التطور او لغيره مما ياتي به الزمن ، وقد تناول هو نفسه قصته بالنقد فيما بعد على اية حال .
ومن هذا النوع ايضا رواية جورج أورويل ذائعة الصيت «١٩٨٤»، وفيها يتصور ان العالم في هذه السنة قد انقسم الى ثلاث دول كبيرة في حالة حرب دائمة فيما بينها ، ويصور لنا الفرد وقد تحول الى كيان بائس لا يحظى بادنى قدر من الحرية ، فهناك جهاز الكتروني ترى فيه المنازل من داخلها بحيث لا ينفرد الانسان بنفسه حتى في دورة المياه ، فهي اكثر الاماكن خضوعا لرقابة هذه الآلات الجهنمية ! وفي مجتمع ١٩٨٤ تبسط الدولة سلطانها على العقل ايضا ، وتجعل البطل « ونستون سميث » يتحول من حالة التمرد الى حالة الرضا التام عن مجتمعه ، رضا حقيقي وحب لمن يسمى « الاخ الاكبر » وهو الحاكم الغامض الذي لا يعرف الشعب حتى ما اذا كان حيا للان ! وقد اعجب برتراند راسل بهذه الرواية ، وذكرها في كتابه « اثر العلم في المجتمع » ثم افرد لها فصلا كاملا في كتابه « صور من الذاكرة ومقالات اخرى ». وذلك لاتفاقها مع آرائه في اثر التطبيق العلمي من حيث زيادته لسلطة المجتمع على الفرد .

الا ان هاتين التسميتين Futuristic Utopia ثم لا تنطبقان على كل قصة تقع حوادثها في عصر لم نصل اليه بعد. فقصة جول فيرن « من الارض الى القمر » لا تهدف الا الى تصور هذا الحدث العلمي ، وليس اثره على المجتمع الانساني ، وينطبق هذا على غير هذه القصة مما يدخل في نطاق « قصص العلم » من اعمال هذا الكاتب وغيره مثل هـ . ج . ويلز . اللهم الا « آلة الزمن »، فهي الى جانب كونها تدور حول فكرة علمية هي اختراع آلة تتحرك في الزمن كما يتحرك القطار في المسافة ، فهي ترينا تصور الكاتب للمجتمع الانساني وقد انقسم بفعل تطور شبه داروينى الى نوعين احدهما يلتهم الآخر ، ثم ينتقل الى فناء النوع الانساني وتحول الحياة الى صورها البدائية عندما تخبو حرارة الشمس . وهنا نجد ويلز يدمج النوعين معا . وتنتمي لهذا النوع ايضا رواية « ٢٠٠١ » والتي يتصور كاتبها اثر السفر بين الكواكب على الحياة الانسانية .

ويلز اذن ينظر الى المستقبل نظرة تشبه عقيدة « هرافليطس » ، الزمن هو الذي يفعل كل شيء ، بينما يرى هكسلي في ملهاته « دنيا جديدة شجاعة » ان التناسل العلمي هو الذي سيأتي بالتغير ، وهي الفكرة التي يرى برتراند راسل ان النازية كانت ستلجا اليها لو امتد بها الاجل ، والتي يرى بعض العلماء المعاصرين انها هي

الطريق الى « السوبرمان » والذي يتصورون انه سيكون مخا بشريا تعمل من خلاله آلات تحل محل الاعضاء الحالية للانسان ، التي تتكون منها حدود مقدراته الجسمانية والذهنية . اما اورويل وهو اخر الثلاثة، فنظرته سياسية بحتة ، وتنبواته أقربها مدى ، فلم تبق سوى اثنتي عشرة سنة على ١٩٨٤ ، وسوف يعيش الكثيرون منا ليتحققوا من مدى صحتهـا .

وأما ليفين فهو يتخطى ذلك كله ، بل ويتخذ تقويما جديـدا لاحداثه ، فهي تقع سنة ١٧٢ ؟ ١٧٢ ماذا ؟ ١٧٢ « بعد التوحيـد »، توحيد الدنيا الارضية في دولة واحدة ، لها مستعمرات قليلة في المريخ ولكن عالم الانسان لم يتعد ذلك بعد . ويتسنى ذلك بفضل العلـم ايضا ، بفضل عفاريت تخضع الطبيعة البشرية لارادة « الاسرة » ، وهي الاسم الذي يطلقه على المجتمع الانساني بأسره . هذه العفاريت تعاطاها الناس بصفة دورية ، وهي تؤدي الى اخماد كل ما يؤدي الى الرغبة في الصراع أو التسعور بالعداء بين البشر ، وبالتالي الى ضعف الغريزة الجنسية واختفاء شعر الذقن وغير ذلك .

ومن الذي يحكم العالم ؟ هذه الاسرة الكبيرة ؟

حاسب الكتروني هائل الحجم ! يقع فيما يعرف الان باسـم « سويسرا » ، والناس يسبحون بحمد هذه الآلة الهائلة التي تحـدد لهم كل شيء . » من الذي ينجب ، وكم طفلا ينجبه وما مستقبـل كل منهم .... « القضاء والقدر » هو عمل هذا « الكمبيوتر » الكبير. وقد انعدمت المسافات بفعل التقدم في تكنولوجيا المواصلات وفـي استطاعة اي فرد ان يستخدم التليفون المرئي ليطلب اي فرد في العالم ويراه ويحادثه في الحال ، وذلك بمجرد ان يذكر ما يسميه المؤلف Number وهي توليفة من الكلمتين الانجليزيتين Name و Nameber ، فلكل انسان تركيبة كهذه ، تحوى الاسم والرقم اللذين يمكنان الحاسب الالكتروني من العمل .

والاماكن نفسها قد تحولت ايضا الى اسماء مبتورة تلحق بهـا ارقام ، فاي مكان في افريقيا اسمه « أفر ٧٢٥ » مثلا ، وكذلك كـل اماكن اوروبا وغيرها . ولم ينس المؤلف اسرائيل وكانها قارة بمفردها، فهناك « أسر .. الخ » ، وذلك بالرغم من ان العالم اصبح اسرة واحدة الا ان اليهود ما زالوا فرعا متميزا من هذه الاسرة .

وفكرة « الانسان ذي الرقم » ليست في ذاتها بدعة جديـدة ، ففي عالم الرواية ، يتخذ منها الآن روب جرييه ذريعة للقضاء علـى الشخصية الروائية والدعوة الى التخلص منها ، وفي عالم الحقيقة، نجد ان بعض الدول ـ منها المانيا الغربية واسرائيل ـ قد ازمعـت ان تتخذ ارقاما لافرادها ، تمهيدا لاستخدام الحاسب الالكتروني في تسجيل كل ما يتعلق بهم من بيانات . ويحوي الرقم تاريخ الميـلاد باليوم والشهر والسنة والقرن ثم النوع ثم رقما مسلسلا يدل علـى هذا الفرد بذاته . بل انهم حددوا ارقاما لبعض الشخصيات الشهيرة، فجوته هو : ٣٨٠٨١٧٤٩٤٥٢٨ ـ وشيلر هو ١٠١١١٧٥٩٦٥٢٠ وويلي برانت ١٨١٢١٣٣١٢٣٤٥ وهكذا .

يبدو أن السيد آيرا ليفين لا يتخيل امورا لم تحدث ... فقط هو يجعل كل انسان يلبس حول معصمه سوارا لا يمكنه خلعه ، عليـه هذه التوليفة « الاسم والرقم » ، وفي كل مكان توجد قوائم على كـل من يمر بها ان يلمسها بهذا السوار ، وبذلك يتولى الحاسب الالهـي تحديد مكان كل فرد في الدنيا وتمكين كل واحد من الاتصال بالاخرين، وفوق كل شيء ، التحكم في الافراد كما لو كانوا من آلة هائلة .

الحبكة الروائية :

وتتخذ الرواية شكلا حدثيا لا يختلف كثيرا عن قصة جورج أورويل، من حيث حبكتها ، فاورويل يأتي لنا بفرد غير راض عن مجتمعـه، هكذا من تلقاء نفسه ، وهو البطل : ونستون سميث ، ومن خـلال افكار هذا البطل ومغامراته وما يقدم عليه من تحد لمجتمعه القاهـر، ثم ما يحدث له من جراء طغيان هذا المجتمع ، من خلال هذا كله يصف لنا الدنيا كما يتخيلها سنة ١٩٨٤ ـ وكذلك آيرا ليفين ، فهو يقدم لنا بطل قصته « ل ى ـ رم ٣٥ م ١٩٤٤ » وهو طفل ، يحـادث زملاءه عمن يسمونهم « المرضى الميئوس منهم » ، وهؤلاء هم البشـر المتشردون الذين يعيشون في الاماكن النائية ، ويقتلون الحيوانـات ويأكلون لحمها ، ولا يلبسون الاساور حول معاصمهم .

هذا الطفل اذن شاذ عن البقية ، فهو يتحدث في هذا الموضوع المحرم ، ثم يرتكب عملا اكثر شذوذا ، فهو يحكي لصديقته عنـدما يكبر انه كان يتمنى لو كان بامكانه ان ينتقي عملا لنفسه ، بـدلا من ان يحدده له الحاسب الالكتروني ! مثل هذا القول الفاضح يجعـل صديقته تحكي قصته « لمستشارها » ، فلكل فرد في هذا المجتمـع « مستشار » يلجأ اليه في مثل هذه الامور .

(بذرة التمرد) موجودة هنا كما هي في ١٩٨٤ ـ وانضمـام المتمرد لغيره هنا موجود ايضا . فهناك مجموعة من الرجال والنساء يتصلون به ، وينضم اليهم ، تماما كما تعرف ونستون سميث علـى صديقته عضو جماعة « مكافحة الجنس ».

وهنا يتعلم الدرس الاول ، وهو ان يتظاهر بأن « العـلاج » الفتري الذي يتعاطاه اكثر مما يلزم له ، وبالتالي فان المركز الطبـي الذي يتعاطى فيه جرعات هذا العلاج سوف يخفف له هذه الجرعـات وبذلك يتخلص تدريجيا من اثر العلاج وما يحدثه من كبت له ، وهـذا التظاهر يكون بالتغاضي عن الوجبات واظهار الضعف والاهمال ثـم العجز الجنسي . وهذا الاخير يكون باتيان العادة السرية قبل مقـابلة فتاته في لقائه الاسبوعي معها . وهنا يظهر لنا المؤلف ـ سواء باحداث قصته او بأسلوبه الاباحي ـ ان مجتمع المستقبل سيجعل من الجنس شيئا لا حرج فيه سواء بالفعل او بالقول . والواقع أن كتاب الغرب قد بدأوا من الآن يستخدمون الالفاظ الدارجة البذيئة في كتاباتهم شانهم في ذلك شأن اي كلمات اخرى ما دامت تدل على المعنى نفسه .

ثم يعرف من زملائه تفسيرا للظاهرة التي طالما حار فيها ، وهي ان كل الناس يموتون في سن ٦٢ سنة بالضبط ؟ الواقع انهم يقتلون! فهذه هي السن التي وجدها الحاسب الالكتروني انسب سن للوفاة، وذلك من حيث خير الاسرة ، اي المجتمع الانساني الجديد .

مرحلة التمرد :

الى أين المفر ؟ نبدأ بالرجوع الى الماضي. (الحاضر على الاصح).. هناك متحف يحوي خرائط للعالم عليها جزر نائية منعزلة لم يصـل اليها سلطان العهد الجديد بعد ، يهرب البطل ـ « تشب » ، كما هو معروف بين اصدقائه ـ الى هذه الجزر ومعه صديقته ، وهنـاك يجدان مجتمعا من نوعين ، اناس تناسلوا من السكان الاصليين لهذه الجزر ، ومجموعة من الهاربين من امثاله . وهو على وجه العمـوم مجتمع يعاني من الفوضى والانحلال ، ولكن ابطاله يحلمون بالهجـوم على الحاسب الالكتروني وتحطيمه وتخليص البشرية من هذه «الوحدة» التي حولت النوع الانساني الى جنس مكبوت يخضع لسلطان هـذه الآلة المتجبرة .

تتكون « تجريدة » بزعامة البطل « تشب » ، تهب لهذه المهمة الرهيبة ، وتصل فعلا الى مقر الحاسب الالكتروني ، وهناك يمسكون بها ، لا لينزلوا باعضائها العقاب ثم يفسلوا امخاخهم كما كان يحدث في ايام ١٩٨٤ ، ولكن ليتخذوا منهم قادة للعالم . قادة ؟

نعم هناك قادة يديرون هذا الحاسب الالكتروني الكبير ، ان الآلـة

ليست هي التي تحكم العالم ، فهناك طاقم ممن يسمونهم بالانجليزية Programmers وهو اصطلاح ينطبق على من يضعون برامج آلات الحساب الالكتروني : وهناك يتقابل « تشب » مع زعيم تخلده البشرية في هذا العصر اسمه « ويي Wei » وفي اول الكتاب نجد اغنية يتغنى بها الاطفال وهم يلعبون الكرة ، تقول :

ان المسيح ثم ماركس ، ثم وود ، ثم ويي
هم الذين قادونا لهذا اليوم العظيم
ماركس ـ وود ـ ويي ـ المسيح
كلهم ، عدا ويي ، قد ذبحوا
وود ـ ويي ـ المسيح ـ ماركس
اعطونا مدارس وحدائق جميلة
ويي ـ المسيح ـ ماركس ـ وود
علمونا التواضع ، علمونا الطيبة

ان شعب هذه الحقبة يقدس هؤلاء الاربعة ، فاما المسيح وماركس فمعروفان لنا ، واما « وود » فزعيم لا يذكر لنا المؤلف شيئا عنه. واما « ويي » فصيني كان له الفضل في توحيد العالم ، ثم مات فيما يعرف الناس ، في الستين من عمره ، منذ حوالي قرن ونصف ولكنه يظهر لهم هناك ، وهو يناهز مئتين وسبع سنوات ، ليقدم نفسه لهم قائلا : « انا ويي » ، ثم يشير الى رقبته قائلا :

ـ اقصد من هنا فاعلى ، اما من هنا فاسفل ، فانا اشخاص متعددون ، بصفة اساسية : يسوع ر أ ـ الذي فاز في سباق « ديكاثلون » سنة ١٦٣ !

زعماء المستقبل :

يبدأ المؤلف الآن في تقديم طبقة الحكام كما يتخيلهم في عصر يملكون فيه زرع الاعضاء ووسائل تغيير الطبيعة الانسانية عند الجماهير ، بحيث يصبح هؤلاء وهؤلاء نوعين مختلفين من المخلوقات ، هذا هو ما تخيله هـ . ج . ويلز بالعلم الذي كان متاحا له في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر . وهذا الرأي يذكره برتراند راسل ايضا في كتابه « أثر العلم في المجتمع » . اما جورج اورويل فرغم انه كتب روايته في اوائل الاربعينات من هذا القرن فان تخيلاته العلمية تكاد تقتصر على ادوات التسجيل والتجسس السمعي والبصري ، اما بقية افكاره فسياسية اكثر منها اي شيء آخر .

والآن ... الى هذه المحادثة المثيرة بين البطل « تشب » والزعيم « ويي » ذي الوجه الصيني ، والجسم المستعار من رجل آخر ، والذي يبلغ من العمر مئتين وست سنين ، وهما يتناولان طعام غداء لا يتالف من الفطائر الصناعية التي يتناولها البشر العاديون وانما :

« كانت هناك شرائح من اللحم في مرق بني به قليل من التوابل ، وبصل محمر صغير الحجم ، ونوع من الخضر لم يره تشب على الجزيرة ـ قال ويي انه « قرع » ـ ثم نبيذ احمر رائق ، اقل لذة من السائل الاصفر الذي شربه في الليلة السابقة ، كانا يأكلان بأدوات من الذهب ، وفي صحاف لها حروف واسعة مصنوعة من الذهب ايضا .

وكان ويي ـ وهو يلبس حريرا رماديا ـ يأكل بسرعة ـ يقطع شرائح اللحم وينقلها بالشوكة الى فمه المحاط بشفتين مليئتين بالتجاعيد ثم يمضغ قليلا قبل ان يبتلع ويأخذ قطعة اخرى . وبين آن واخر ، كان يتوقف ليرشف قليلا من النبيذ ثم يضغط شفتيه بفوطته الصفراء . قال :

ـ التتمة على الصفحة ٤٢ ـ

هبوط أورفي

تدور العصافير في آخر الليل
في البار ، يهبط أخضر أسود
في وجهه النار والعشب ،
سيدتي هل رأيت الرياح
القديمة تنشر أثوابه ؟
(في رطوبة آب ارتكبت الزنا ، كنت في الاربعين ، انسللت الى النخل والسنبل ، العشب يبتل أخضر أسود ، في وجهه رغبة منذ عشرين لهابة ترتمي كل يوم على قدمي ، الشتاءات تلتف في القش ، في قبضتيه حنين قديم الى فخذي الممتلي ، واحتوتني ذراعان اكثر جوعا من الدود في قبره الفارغ ، العشب يبتل في قبضتي ، انحدر ايها الماعز الجبلي ، انحدر ايها البقر المتوحش ، مسكونة منذ عشرين بالبقر المتوحش ، مسكونة كنت بالماعز الجبلي ..)
المدينة تبتل ، سيدتي هل
نسيت على البار نظارة ؟
(انني اقطن الطابق السابع .)
العشب يبتل ، سيدتي هل
رأيت القرى الصفر في خفق
أثوابه ؟ هل سمعت الكلاب
الحزينة في آخر الليل في البار ،
ما أسمك سيدتي ؟ انني ذاهب .
(من اعالي نيويورك يهبط اورفي الى غابة الصخر اخضر يهبط أسود في وجهه النار والعشب ، في وجهه الالق الاخضر الذهبي ، المدينة تبتل في صوته الاخضر الذهبي ، المطارات تفلق في وجهه والفنادق ، عن اي خادمة في المقاهي الصغيرة يبحث أورفي ؟ الحدائق مبتلة والمصاطب مشغولة والعصافير تبتل ....)
سيدتي هل نسيت على مرمر
الحوض هذا البنفسج ؟
(اني على مرمر الحوض انسى البنفسج .)
شالك هذا بلون البنفسج !
(عن اي جنية في الحدائق تبحث ؟)
سيدتي انت مبتلة .. في المقاهي الصغيرة خادمة ترتدي لون هذا البنفسج ، في آخر الليل في البار ترقص ، ترقص في وجهها النار والعشب ، سيدتي انت مبتلة ، انزعي عنك هذا الرداء الممزق اني اغطيك بالعشب والقبرات البواكي ، العصافير في آخر الليل في البار تقتل .

بغداد

حسب الشيخ جعفر

نموذج للرواية المستقبلية المعاصرة

ـ تابع المنشور على الصفحة ٣٢ ـ

ـ هذه الاشياء كانت توجد من قديم الزمن على اية حال ،وليس هناك داع لاتلافها اذن . كانت الفرقة كبيرة ، ومؤثثه على الطريقة التي كانت شائعة قبل التوحيد ، ابيض ، ذهبي ، برتقالي ، اصفر، وفي جانب منها كان شخصان يقفان بجوار مائدة خدمة .قال ويي:

ـ وقد يبدو هذا خطا اول الامر ، ولكن القرارات النهائية يجب ان تتخذ بواسطة افراد لا يتلقون العلاج ، وهؤلاء لا يمكنهم ان يعيشوا على الفطائر الصناعية والتلفزيون و « ماركس يكتب » ، ولا حتى « ويي يخاطب العلاجيين الكيمائيين » .

قال هذا وهو يبتسم ، ويضع قطعة من اللحم في فمه ،فتساءل تشب :

ـ ولماذا لا تتخذ الاسرة قراراتها بنفسها ؟

فقال ويي وهو يمضغ ثم يبلع :

ـ لانها غير قادرة على ذلك ، او على الاصح لن يمكنها ان تتخذ قرارات معقولة ، فالانسان الذي لا يتعرض للعلاج المنتظم ، هو كما رايت بنفسك في الجزيرة التي هربت اليها : دنيء ، احمق ، عدائي السلوك ، دافعه الانانية اكثر من اي شيء آخر . الانانية والخوف .

ثم وضع قطعة من البصل في فمه .

ـ لقد وصلوا للتوحيد .

ـ صحيح ... ولكن بعد كفاح مرير ... وكم كان هشا هذا التوحيد حتى قويناه بالعلاج . لا يا عزيزي ... ان الاسرة يجب ان تلقى المساعدة حتى تصل الى الانسانية الكاملة ـ بالعلاج الان ، وبالهندسة الوراثية بعد ذلك ـ ولا بد ان تتخذ القرارات من اجلها . اولئك الذين يملكون القدرة والذكاء هم الذين يقع على عاتقهم الواجب ايضا ، والتخلص منه ليس الا خيانة للنوع الانساني .

ثم وضع قطعة من اللحم في فمه ورفع يده الاخرى مشيرا للخدم . فقال تشب ؟

ـ وجزء من هذا الواجب .. هو قتل الافراد في سن ٦٢ ؟

فابتسم ويي قائلا :

ـ آه ... هذا سؤال اساسي بصفة دائمة .

واقترب الرجلان ، احدهما بقنينة النبيذ والثاني بطبق من الذهب امسك به الى جانب ويي ، الذي مضى يقول وقد امسك بشوكة كبيرة قطعة من اللحم لفترة ، والمرق يتساقط منها :

ـ انت تنظر للامر من زاوية واحدة فقط . ان الذي تغفله هو العدد الهائل من الافراد الذين سيموتون في سن تقل كثيرا عن ٦٢ لو لم يتح لهم السلام والاستقرار والحياة الطيبة التي تقدمها لهم ، فكر في المجموع ، وليس في اعضاء هذا المجموع . اننا نضيف الى مجموع حياة الاسرة ككل اكثر مما ناخذ منها ، نضيف سنين كثيرة...

وضع قطعة اللحم في طبقه واخذ يضيف اليها المرق والبصل والقرع ، ثم سأله :

ـ تشب ؟.

ـ لا ، شكرا .

واخذ تشب يقطع جزءا من قطعة اللحم في طبقه بينما بدا الفتى الذي يحمل النبيذ يملأ كاسه . وقال ويي :

ـ وبهذه المناسبة . لقد اصبحت سن الموت الان اقرب الى ٦٣ منها الى ٦٢ ـ وسوف تستمر في الارتفاع طالما ان تعداد سكان الارض في تناقص .

ووضع قطعة من اللحم في فمه ، بينما انسحب الخادمان .وقال تشب :

ـ هل تدخل في حسابك للسنين المضافة والماخوذة من عمر البشرية اولئك الافراد الذين لا يولدون بفضل هذا النظام ؟

فقال ويي وهو يبتسم :

ـ لا . لسنا غير واقعيين الى هذا الحد . لو اننا سمحنا لهؤلاء ان يولدوا ، لما كان هنا استقرار او رخاء ، ولن توجد الاسرة في النهاية .

ـ اما واضعو البرامج فيعيشون فوق الثانية والستين .

ـ الافراد الممتازون يجب المحافظة عليهم الى اقصى مدى ممكن ، لخير الاسرة .

ووضع قطعة من اللحم في فمه واخذ يمضغها ببطء ، ثم قال : بعينيه المثبتين ، ومضى يقول :

ـ ان جيل واضعي البرامج الذي تنتمي انت اليه سوف يعيش الى الابد ! اليس هذا رائعا ؟ نحن القدماء لا بد ان نموت ذات يوم ، يقول الاطباء اننا قد نبقى ، ولكن الحاسب يقول غير ذلك . اما انتم فمن المؤكد انكم لن تموتوا ابدا .

ووضع قطعة من اللحم في فمه واخذ يمضغها ببط ، ثم قال :

ـ خاطر مزعج فيما اظن ، ولكنه سيزداد جاذبية كلما كبرت في السن .

ابتلع تشب اللقمة التي كانت في فمه ونظر الى صدر ويي من خلال ردائه الرمادي ، ثم وجهه ثانية ، متسائلا :

ـ هذا الفتى ، بطل السباق ، هل مات ميتة طبيعية ام قتل ؟

ـ لقد قتل ، بموافقته ، التي ابداها طائعا ، بل متحمسا .

ـ كان يتلقى العلاج بطبيعة الحال ؟

ـ بطل رياضي ؟ هؤلاء يأخذون جرعات قليلة جدا . كلا ، لقد كان فخورا بان ... ان يتحد معي . وكان منشغلا بشيء واحد فقط ، وهو ما اذا كنت سأحافظ على لياقته البدنية . والواقع انه كان محقا في ذلك . وسوف تجد انت ان الافراد الذين يتولون خدمتنا هنا سوف يتنافسون ليهبوك اعضاءهم اذا اردت ذلك .في استطاعتك ان تغير عينك هذه ، انا شخصيا غيرت عيني مرتين . يجب ان نهدف دائما الى الكمال . ليس لنا سوى هدف واحد : الكمال . لم نصل اليه بعد ولكننا سوف نفعل : اسرة واحدة تتحسن بالتحكم الوراثي بحيث يصبح العلاج الدوري غير ضروري ، وفرقة من واضعي البرامج تعيش الى الابد بحيث يمكن توحيد الجزر ايضا ، الكمال على الارض، ثم التحرك الى الخارج ، الى النجوم ! ».

توقفت شوكته وبها قطعة اللحم عند شفتيه ، واخذ ينظر الى الامام وهو يقول :

ـ حلمت بهذا وانا صغير ، عالم من الادميين الذين يمتازون بالرقة وحب المساعدة ، وحب الاخرين وعدم الانانية . سوف اعيش لارى هذا العالم ، لا بد ان اعيش لاراه ! »

لعل هذا الموقف يوضح لنا امرين :

ـ الفكر الذي يتفق عليه الادباء بالنسبة لمستقبل البشرية.

ـ الموقف الروائي ، من حيث « التكنيك » ، كما يراه كتاب اليوم.

وسنبدأ بالاول :

مستقبل البشرية :

١ ـ يتفق المفكرون الاربعة : ويلز وهكسلي واورويل وليفين على ان الانسان سوف ينقسم الى انواع ، سواء كان ذلك بالتطور او الهندسة الوراثية التي تخدم الاقتصاد ، او بناء عى رغبة الحكام في التسلط ، او بتاثير التطبيق العلمي في المجتمع الانساني ، وان كان اورويل ، ربما لانه اختار مدى قصيرا لفكره المستقبلي ، اربعين سنة، وليس مليونا او اكثر كما هو عند غيره ، ينفرد بانه لا يهتم كثيرا بمسالة الانواع .

٢ ـ يرى هؤلاء الكتاب ايضا ان الهوة بين الحاكم والمحكوم سوف تزداد اتساعا ، فالحكام عند اورويل فئة من المتسلطين الذين يتخذون من الشعارات اداة للوصول الى السلطة (الحرب هي السلام !)وهم عند هكسلي مخططون بيولوجيون يقسمون الناس الى الفا وبيتا وغير

عندما تختلط الأبعاد والأحماد

لم يصلني منك شيء
فأنا لا أعرف الانباء منذ استودعتنا الحزن
كلمات الوداع

وشرقنا بالدموع
عشت من بعدك وحدي .. أتألم
يتمادى الخوف بي ..
والخوف ـ يا للخوف ـ ما كان ليرحم
ان سابور يحب الدم والعطر ويفزو في المخادع
يفتح الجرح ويفتك
ويرسم العار ويلغو
ويخادع !
انه يرتاد بالموت المدائن
انه يصنع بالاكتاف ألواح السفائن
من ترى ينقذ حبي منه ..
من يعرف منا كيف يرميه ويضرب
من ترى يسلمه للموت ..
من يكتب عنه بيننا سطر النهاية ؟

* * *

أمس أوقظت ...
واوغلت مع النجم البعيد
حاملا قلبي قربانا ...
وترتيلي انتفاضات الضلوع
غير أني ضعت ..
واجتاح طريقي نيزك أحمر هائل
ولعلي مسني منه الشرار
فلقد بددت ...
أو أصبحت شيئا كالرماد

* * *

فاكتبي لي
كاشفيني .. على أن أهدأ أو أعرف معنى
ان اكون
لست بالقائل : اني استطيع
غير اني ربما اصبح ـ لو شئت ـ فداء أو ضحية
لتعيشي
لا مع الناس بقايا كبرياء وصلاة عربية
انهم لا شيء ..
أو هم أي شيء ..
ربما ، او علهم نسل سلالات شقيه
يخرج الابطال للشمس ...
مسوخا
ويعودون مع الليل نفايات غبيه
والنساء البله بالعرى يكرسن الفتون
أو يبارين الجنون
ويغنين لحونا مضرية
آه .. ياكم ضيعتنا فكرة الثأر ...
فرحنا نمتطي للحرب خيلا خشبية

لندن — **أحمد كمال زكي**

ذلك من الفصائل الصناعية . اما ليفين الذي يعيش في عصر زرع الاعضاء فيراهم متالهين يعيشون الى الابد ويوحدون الجنس البشري في «اسرة واحدة» وينتقون معاونيهم من الابطال الذين يثبتون امتيازهم بالرغبة في قيادة العالم كما فعل « تشب » . ولديهم حجج لا تفتقر الى الوجاهة من حيث ان فيما يفعلونه خير « المجموع » ، وهي نفس الحجة القديمة . بل انهم « ديموقراطيون » بطريقتهم ! اليس الناس كلهم راضين عما يحدث ؟ بل انهم يتنافسون ليقدموا عيونهم واعضاءهم للحكام ليستخدموها « كقطع غيار » لاجسادهم الطاعنة . فاذا اعترضنا بان العقاقير هي التي تخضعهم وتجعلهم راضين عما يحدث لهم فان الاجابة سهلة . هذه العقاقير هي التي قضت على ويلات الحرب والعداء بين الافراد والجماعات ! ان العلاقة بين الحاكم والمحكوم هنا هي من نوع العلاقة بين الانسان والكلب او الببغاء الذي يربيه ، او بين تاجر الافيون والمدمن ، اليس الطرفان سعيدين تماما ، والبشرية ككل في حالة رخاء وتقدم تفوق اقصى ما يمكن ان نحلم به في عالم ممزق كالذي نعيش فيه الآن ؟ من الذي يمكن ان يعترض ؟ حفنة من القراء الجهلة الذين يعيشون في عمر متخلف ؟! يتشدقون بالحديث عن الخير والشر وهي قضية قديمة قديمة ، كانوا يسمونها فيما قبل التوحيد « مشكلة الاخلاق » .

الموقف الروائي :

نلاحظ هنا ان « السرد » الروائي عند هذا الكاتب كما هو عند اغلب كتاب الغرب المعاصرين يتصف بشبه « الكاميرا » السينمائية في التسجيل . فالكاتب لا يأتي بأي تعليق من عنده ، بل انه لايجعلنا نشعر حتى بما اذا كان راضيا أم ساخطا على ما يحدث . ولكننا ندرك تماما اننا امام زعيم كبير يأتي لنفسه بجسم رياضي حتى يمكنه ان يلتهم وجبة فيها من البصل وحده ما يتخم جيلا باكمله . يعيش قرونا كاملة ، وله فلسفة متكاملة في السياسة والحكم والاخلاق ، كل هذا يتضح خلال وجبة غذاء لا تزيد على صفحتين من الكتاب ، « فلاش » هنا و « فلاش » هناك ، وموقف روائي متكامل بالغ التاثير .

النهاية :

ولكن الكاتب في النهاية ياتي بما لا نتوقعه . كلنا ننتظر ان يفضل « تشب » ان يصبح عضوا في هذه الطبقة الحاكمة . وبذلك يوضح المؤلف فكرته ويثبتها ، وهي ان انتقاء الصراع والحرب والعداء بين بني الانسان يتحقق بهذه الوسيلة ، « يوتوبيا » ينظمها عقل الكتروني يديره حفنة من « السوبرمان » ، يعملون على اخماد الطبيعة البشرية لدى الخلق « بالعلاج الآن ، وبالهندسة الوراثية فيما بعد »، كما يقول ويي . ولكن « حتمية » هذا الوضع تنتفي تماما بما يذهب اليه المؤلف في نهاية قصته ، فهو يخلق من « تشب » بطلا مثل جيمس بوند ، يحطم الحاسب الالكتروني ويقتل « ويي » ، وماذا بعد ؟ هناك مناقشة طريفة بين تشب وواحد من اصدقائه :

ـ لقد سقطت الطائرات ومات كثيرون بسبب نسف الحاسب .

ـ صحيح ... ولكن فكر في الذين كانوا سيقتلون في سن ٦٢ والآن سيعيشون !

مناقشات فلسفية طريفة تجعلنا نزداد حيرة في امر البشرية وايها خيرها وايها شرها ؟! ولكن الحقيقة تبقى وهي ان المؤلف قد حطم فكرته ايضا عندما جعل البطل يحطم هذه الآلة ... ومن يديرونها ؟

وما الذي حدث بعد ذلك ؟

لعله من الخير ألا نعرف ...

القاهرة — **محمد الحديدي**